لماذا تتعلم المرأة

« لا احب المرأة أمة كما هي في الشرق يستبد »
« فيها الرجل ولا احبها سيدة كما هي في الغرب »
« تستبد فيه » « حكيم »

لا نكران بوجوب تعليم المرأة الشرقيـة اذ ذلك من وسائل الرقي وضروريات التقدم . فلا بدع اذا رأينا الآن تلك النهضـات الادبية التي قامت بها الاهالي ونظارة المعارف من فتح دور العلم للبنات وتوسيع نطاق المدارس لهنّ . وهذه النهضة المشكورة هي بارقة أمل لمستقبل البلاد ولذلك كان من الفروض المقدسة على اولياء الامور ان يوجهوا مزيد عنايتهم الى هذا الامر الحيوي ويذللوا الصعوبات التي تتصدى هذا المنهج القويم اذ ليس الغرض فقط انشاء معاهد العلم للبنات بل يلزم حث الوالدين على ارسال بناتهم اليها خصوصاً الوالدات لما يعلم عن اغلبهنّ من شدة تمسكهنّ بالعوائد القـديمة زعماً منهنّ ان لا فائدة على الاطلاق من تعليم بناتهنّ لانهنّ لا يستلمنَ الوظائف او يقبضنَ الرواتب وذلك لجهلهنّ مزية العلم الذي حرمنَ منه ولهذا السبب كان من الضروري اقناعهنّ بوجوب تعليم بناتهنّ لانهنّ بحكم الطبيعة سيصبحنَ زوجات يوكل اليهنّ تدبير المنزل وحفظ حساباته ومعاونة الزوج بما تلقينه من العلم الصحيح حتى اذا ما صارت الواحدة أماً أمكنها ان ترضع اولادها لبان المعارف وتصوغ عقولهم في قالب التهذيب وتنفخ فيهم روح العزم والاقدام وهذا هو سر تقدم الامم الغربية وارتقائها الى مدارج الكمال

ان ترك المرأة تتخبط في ظلام الجهالة ظلم واجحاف بحقوقها وربما اضرّ بها لانها بجهلها تسوء التصرف وعدم التدبر في الامور فتجرّ على نفسها وزوجها وآل بيتها التعاسة ويصبحون على حافة هاوية من الدمار كما هو مشاهد كثير في بلادنا المصرية . اما الآن فهذه النهضات العالية تجعلنا نترقب رقي المرأة وبلوغها مدارج الكمال فتضارع الغربية من حيث التعليم (فقط) واننا نبني على هذه الاماني علالي التقدم وقصور المدنية والسعادة

ولكني لست على رأي اولئك الذين يحاولون الدفاع عن حقوق المرأة فيتطرفون بقولهم لماذا لا تشتغل بالمحاماة والطب او الهندسة او غير ذلك من تجارة وخلافه اذ لو صحت هذه الاحلام لأصبحنا في حالة نفضل معها بقاء المرأة على جهلها هذا التعليم الذي يضر بمدنيتنا ويبعدنا عن الغرض السامي الذي من اجله خلقت المرأة

نحن انما ندافع عن حقوقها المهضومة ونسعى في رفع نير العبودية عنها ولذلك نريد تعليمها العلم الصحيح الذي يرفع شأنها حتى تعرف حقوقها فلا يعود الرجل يستبد فيها ويستعمل قوته على ضعفها بما جبل عليه من الغلظة وحب الرئاسة عليها ناسياً او متناسياً انها شريكته وقسيمته في الحياة . ومع ذلك فانها لا تزال في اعين الكثير أَمَة ضعيفة يحط من قدرها ويستبد فيها بما له عليها من السلطة وهي لجهلها لا يمكنها ان تدافع عن حقوقها ولذا كان من الضروري تعليمها حتى تنشل نفسها من وهاد هذا الشقاء . هذا هو الغرض الوحيد الذي نبذل ما في وسعنا للحصول عليه واذ ما نلنا هذه الاماني فانا ضمين على رقي المرأة وتقدمها في طريق المدنية والحضارة

اما اذا كان الغرض من تعليم المرأة هو الطموح الى تقليد الغربيات بما يأتينه في هذا الزمن من ضروب المجن والحماقة فلا سبيل الى النظام بل لا نعود نرى الا نسوة يطلبن حق الانتخاب ويزاحمننا في المصالح والاشغال وليس ببعيد ان يزحفن بجيوشهنّ على الدوائر الرسمية فيكسرن نوافذها بالحجارة كما نسمع عن ذلك في الصحف اليومية وليس على الرجل اذا الا ان يبقى بمنزله يباشر شؤونه بنفسه ويترك زوجته تسعى في المعيشة فتكون اذ ذاك قد عكسنا نظام الطبيعة من حيث اوجده الخالق منذ الازل

ان اشنع ما في المدنية الغربية هو استبداد المرأة وطموحها الى الزهو والفخفخة تاركة منزلها الذي وجدت لاجله ومن ذلك يشكو الرجل الغربي مرّ الشكوى ولو خيرناه على هذه الحالة لفضل الشرقية على جهلها وسذاجتها على اختها الغربية مع ما هي عليه من المدنية الخرقاء : فاذا كنا نعلم كل ذلك ونشاهده باعيننا كيف يدور في خلدنا ان نطلبه ونبتغيه ! ! كلاّ ثم ألف مرة كلاّ : فخير لنا الاعتدال فان الشرق شرق والغرب غرب : نحن انما نسعى في تعليم المرأة وترقية مداركها لكي تكون زوجة مدبرة وأمّاً عالمة تربي في نفوس ابنائها الكمالات وتزرع بهم الفضيلة فيشبون على حب التقدم وبلوغ علالي الاماني . بل وندافع بكل ما في وسعنا عن حقوقها المهضومة حتى تكون هي والرجل في الحياة سواء

ان ناموس الطبيعة فرض على المرأة الامور المنزلية وتربية الابناء فليس لها ان تتعاطى الاشغال الخارجية مهما بلغت درجتها من العلم والمعرفة الا في احوال البؤس والانقطاع عن الزواج . على ان الله خلقها لتكون

معيناً للرجل في سرائه وضرائه وهي بكونها أماً عليها عمار الكون ولذا كان التعليم من اوجب الامور لتلك التي ستكون اماً تصوغ عقول الاطفال في قالب التربية الصحيحة حتى يكونوا في المستقبل رجالاً ابطالاً ينفعون بلادهم وامتهم

ولا يمكن ان ننكر ما للمرأة من الذكاء والمدارك وعلو الهمة ما للرجل نفسه ولذلك ليس من الصعب تعليمها ورفع ظلام الجهالة عنها وبذا يتسنى لها ان ترد سهام الاستبداد عنها وترفع نير العبودية عن عاتقها فتكون في منزلها نعم المدبر الحكيم الذي يسوس دائرة معيشته على محور النظام والسعادة

وها نحن لم نزل في بحر الحياة الحقيقية فاذا لم نسع بجهدنا وبذلنا النفس والنفيس في ازالة الموانع وتذليل الصعاب لذلك لا يمكننا ان نبلغ نهايتها فنكون كمن امسك طرف الحبل ثم قطع قبل ان يبلغ النهاية وحاشا لله ان يحصل ذلك ما دامت هم رجالنا موجهة الى هذا الامر الحيوي الذي هو من أهم الوسائل في رقي الامم المتمدنة

وانا ارجو في ختام مجالتي ان لا يكف كتابنا الافاضل عن البحث في هذا الموضوع وكذلك الخطباء النجباء عن حث الآباء على وجوب تعليم بناتهم كما اننا نؤمل في شهامة اغنيائنا ان لا يضنوا بافتتاح المدارس للفقيرات حتى لا تحرم واحدة من ذلك وما دامت هذه الروح تسري في افئدتنا فلا شك اننا نكون قد عملنا في حاضرنا لخير مستقبلنا

(ص . الياس)

احد منشئي مجلة سمير الشبان